

تفسير البحر المحيط

@ 503 ذكرى وَاُنْثَى } ، { فَجَعَلَ مِنْهُُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْاُنْثَى } . انتهى . وقيل : بدأ بالأنثى ثم ثنى بالذكر ، لتنقله من الغم إلى الفرح . وقيل :
ليعلم أنه لا اعتراض على [] فيرضى . فإذا وهب له الذكر ، علم أنه زيادة وفضل من []
وإحسان إليه . وقيل : قدمها تنبيهاً على أنه إذا كان العجز والحاجة لهم ، كانت عناية
[] أكثر . وقال مجاهد : هو أن تلد المرأة غلاماً ، ثم تلد جارية . وقال محمد بن الحنفية
: أن تلد توأماً ، غلاماً وجارية . وقال أبو بكر بن العربي : أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً
 . قال علماؤنا : يعني آدم ، كانت حواء تلد له في كل بطن توأمين ، ذكراً وأنثى ؛ تزوج
ذكر هذا البطن أنثى البطن الآخر . انتهى . .

ولما ذكر الهبة في الإناث ، والهبة في الذكور ، اكتفى عن ذكرها في قوله : { وَأَوْ
يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا } . ولما كان العقم ليس بمحمود قال : { وَيَجْعَلُ
مَنْ يَشَاءُ عَاقِبَةً } ، وهو قسيم لمن يولد له . ولما كانت الخنثى مما يحزن بوجوده ،
لم يذكره تعالى . قالوا : وكانت الخلقة مستمرة ، ذكراً وأنثى ، إلى أن وقع في الجاهلية
الأولى الخنثى ، فستل فارض العرب ومعمرها عامر بن الظرب عن ميراثه ، فلم يدر ما يقوله
وأرجأهم . فلما جن عليه الليل ، جعل يتقلب وتذهب به الأفكار ، وأنكرت خادمه حاله فسألته
 ، فقال : بهرت لأمر لا أدري ما أقول فيه ، فقالت له : ما هو ؟ فقال : شخص له ذكر وفرج ،
كيف يكون حاله في الميراث ؟ قالت له الأمة : ورثه من حيث يبول ، فعقلها وأصبح فعرضها
عليهم ، فرضوا بها . وجاء الإسلام على ذلك ، وقضى بذلك علي ، كرم [] وجهه ، إنه عليم
بمصالح العباد ، قدير على تكوين ما يشاء . .

كان من الكفار خوص في معنى تكليم [] موسى ، فذهبت قريش واليهود في ذلك إلى التجسيم ،
فنزلت . وقيل : كانت قريش تقول : ألا تكلم [] وتنظر إليه إن كنت نبياً صادقاً ، كما
كلمه موسى ونظر إليه ؟ فقال لهم الرسول عليه السلام : (لم ينظر موسى إلى []) ، فنزلت
: { وَمَا كَانَ لِيَشْرَهَ أَنْ يُكَلِّمَهُهُُ اللَّهُ } ، بياناً لصورة تكليم [] عباده أي
ما ينبغي ولا يمكن لبشر إلا يوحى إليه أحد وجوه الوحي من الإلهام . قال مجاهد : أو النفث
في القلب . وقال النقاش : أو وحي في المنام . وقال النخعي : كان في الأنبياء من يخط له
في الأرض ، أو بأن يسمعه كلامه دون أن يعرف هو للمتكلم جهة ولا حيزاً ، كموسى عليه السلام
 ، وهذا معنى { مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ } : أي من خفاء عن المتكلم ، لا يحده ولا يتصور بذهنه
عليه ، وليس كالحجاب في المشاهد ، أو بأن يرسل إليه ملكاً يشافهه بوحى [] تعالى ، قاله

ابن عطية . وقال الزمخشري : وما صح لأحد من البشر أن يكلمه الله إلا على ثلاثة أوجه : .
إما على طريق الوحي ، وهو الإلهام والقذف في القلب والمنام ، كما أوحى إلى أم موسى
وإلى إبراهيم عليه السلام في ذبح ولده . وعن مجاهد : أوحى الله إلي الزبور إلى داود عليه
السلام في صدره ، قال عبيد بن الأبرص : % (وأوحى إلى الله أن قد تأمروا % .
با بن أبي أوفى فقامت على رجل .

.
%)

أي : ألهمني وقذف في قلبي . .

وإما على أن يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الأجرام من غير أن يبصر السامع من يكلمه ،
لأنه في ذاته غير مرئي . وقوله : { مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ } مثل ، أي : كما يكلم الملك
المحتجب بعض خواصه ، وهو من وراء حجاب ، فيسمع صوته ولا يرى شخصه ، وذلك كما كلم الله
موسى ويكلم الملائكة . .

وإما على أن يرسل إليه رسولا من الملائكة فيوحي الملك إليه ، كما كلم الأنبياء غير موسى
انتهى ، وهو على طريق المعتزلة في استحالة رؤية الله تعالى ونفي الكلام الحقيقي عن الله .

وكل هذه الأقسام الثلاثة يصدق عليها أنها وحي ، وخص الأول باسم الوحي هنا ، لأن ما يقع
في القلب على سبيل الإلهام يقع دفعة واحدة ، فكان تخصيص لفظ الوحي به أولى . وقيل :
{ وَحْيًا } كما أوحى إلى الرسل بواسطة